

الصراع الثقافي في رواية "حكاية العربي الأخير 2084" لواسيني الأعرج

عادل حموشي*

جامعة مولود معمري - الجزائر، adel.hamouchi@ummto.dz

مخبر التمثلات الفكرية والثقافية

المشرف: د. مولود بوزيد

التشريع: 2024 / 12 / 15

القبول: 2024 / 12 / 10

الإرسال: 2024 / 12 / 01

ملخص:

تطرقَت الدِّراسة إلى قضيّة الهوية العربيّة انطلاقًا من رواية (حكاية العربي الأخير 2084) للروائيّ الجزائريّ "واسيني الأعرج"، فيها استشرَف حالة العرب المستقبلية أمام دوامة التحلل والتفكك التي قذفت بهم خارج التاريخ، فحوّلتهُم إلى شعوب ضائعة، تائهة، بلا هوية.

عالجت الرواية مسألة الهوية العربيّة وأزمتها في ظلّ الهيمنة الكولونياليّة الجديدة، وكيفية تصوّر الخطاب للرؤية الإمبرياليّة للعالم العربيّ في خضمّ التحوّلات التي يشهدها العالم المعاصر، وما القراءات المقدمة من منظور الروائيّ الناقد المبرز للعلاقة القائمة بين الأنا والآخر، حيث أبرز فيه وعيًا جديدًا للذات والهوية والمستقبل. والدراسة تناولته بمقاربة نقدية ثقافية، مبرزة الصّوت المضاد الكامن في أعماقه.

اعتمدت الكولونيالية الجديدة على مفاهيم، ومرتكزات، ومقولات أساسية لبناء نظام عالمي جديد، يقوم على عزل الإنسان العربي عن تاريخه، وهويته، والإعلان عن موت جميع قضاياها الجوهرية كحقه في التفكير، وامتلاكه هوية ثقافية خاصة به و تهيمشه بكل الوسائل، ذلك ما أدى إلى ظهور خطابات مناهضة لها عملت على تأكيد هويتها، وتحرير تاريخها وثقافتها، والبحث عن مقولات ومرتكزات أيديولوجية، ثقافية وسياسية لمقاومة

* المؤلف المراسل

الهيمنة الامبريالية التي أدت بفضل سياستها المركزية المتفطرة إلى خلق صراع أجلي بين عالمين : غربي مركزي و شرقي هامشي.

الكلمات المفتاحية: الأنا والآخر، المركز والهامش..، الصراع الثقافي، الهوية..، الكولونيالية.

the Cultural Clash in the novel The Last Arab Tale 2084

by Wassini Al-A'raj.

Abstract:

The study delved into the issue of Arab identity based on the novel "The Last Arab Story 2084" by the Algerian novelist "Wassini Al-Aaraj". It foresaw the future state of Arabs in the face of the spiral of decay and disintegration that has thrown them out of history, turning them into lost, wandering people with no identity. The novel addressed the issue of Arab identity and its crisis in light of the new colonial hegemony, and how the discourse portrays the imperial vision of the Arab world amid the transformations the contemporary world is witnessing, and the readings presented from the perspective of the novelist who highlights the relationship between the self and the other, showcasing a new awareness of self, identity, and future. The study approached this with a critical cultural perspective, highlighting the counter-voice embedded within it. New colonialism relied on essential concepts and principles to build a new world order that isolates the Arab person from their history and identity, proclaiming the death of all their fundamental issues such as the right to think, and possessing their unique cultural identity, marginalizing them by all means. This led to the emergence of counter-narratives that worked to affirm their identity, liberate their history and culture, and seek ideological, cultural, and political principles and foundations to resist imperial

hegemony. This arrogant central policy created an eternal conflict between two worlds: a central Western world and a marginal Eastern world.

Keywords: The self and the other, The center and the periphery, Cultural conflict, Identity, Colonialism.

1-مقدمة:

اهتمّت الدّراسات النّقدية المعاصرة بالعديد من القضايا التي طرحتها مرحلة الحداثة وما بعد الحداثة التي شهدت بروز عدّة أفكار معرفيّة وفلسفيّة وإيديولوجية ، أثّرت في العالم عامة ، وفي العرب خاصّة ، كما أثّرت كذلك في الإنتاج الأدبيّ والأدباء من حيث ميولاتهم ومواقفهم تجاه مختلف القضايا.

من هنا يتجلى الصّراع الفكريّ بين الحضارة الغربيّة فيما تنتجه من خطابات ثقافيّة أدّت إلى تصادّم حضاري وصراع وثقافي داخل المجتمعات العربيّة ، مما أدّى بالتّصوُّص الأدبيّة إلى مواكبة العصر في مضامينه المطروحة وفق صراع تغذّيهِ الثنائيات الضدية التي أنتجتها الخطابات الكولونياليّة الإمبريالية التي سعت إلى تكريس العديد من الثنائيات المتقابلة والمتعارضة ، منها: المركز/الهامش ، الأنا/الآخر ، العربي/الغربي.

إنها ثنائيات تشتغل عليها مرحلة ما بعد الكولونيالية ، وهي خطابات كرسّت ما يُسمّى بظاهرة الهامش والمركز. الشيء الذي دفع بالعديد من الروائيين إلى إنتاج خطابات مضادة تقوض مقولاتها الكولونياليّة.

يخلق هذا الطرح إشكالية مركزية ألا وهي الطريقة التي صوّر بها "واسيني الأعرج" الرؤية الامبرياليّة وهذا يتفرع عنها عدّة فرضيات أهمّها الكيفية التي عالج بها مسألة الهوية العربيّة المهمّشة ، وأزمتها في ظلّ التحوّلات التي يشهدها العالم المعاصر من منظور الهيمنة الكولونيالية الجديدة ؟ وكذا طبيعة العلاقة القائمة بين الأنا والآخر وفق رؤيته كروائيّ ، ناقد ؟

نهدف في هذا المقال إلى استشفاف قضية الهوية العربيّة المهمّشة ، وطبيعة الصّراع بين الأنا والآخر ، من خلال الخطاب المضاد الموجود في عمق الرواية ، ورؤية الكاتب وكيفية معالجته مسألة الهوية العربيّة وتأزمها بفعل المركزية والهيمنة الكولونياليّة الجديدة.

اعتمدت الدراسة على مقارنة نقدية ثقافية، إذ أنها الأنسب في تعرية الخطاب واستنطاق دوافعه الضمنية، والاشتغال حول الأنساق المضمرة وراء أقنعة جمالية، وكشف مفاهيم ومركزات الكولونيالية الجديدة التي تسعى إلى بناء نظام عالمي جديد، يقوم على عزل الإنسان العربي عن تاريخه وتشويه هويته وتفكيك ذاته الوجودية، فالكاتب يُجرّ بنا عبر روايته واصفا الإمبريالية الغربية وممارساتها الإقصائية تجاه الإنسان العربي بنظرة ثاقبة.

2-تمثّل الهوية في الكتابة الأدبية:

يُعدّ الحديث عن الهوية حديثاً عن الثوابت والعادات والتقاليد والميراث الفكري لأيّ مجتمع من المجتمعات، ولهذا فإنّ الهوية تتشكّل من المقومات التي تبني شخصية الإنسان الوجودية، وتطبعه بطابع خاص يميّزه عن البقية. يتوسّع مفهومها ليجمع بين أفراد المجتمع ويلخص الثابت المشترك بينهم، فتكون عنواناً لانتماهم الاجتماعي والإقليمي لتعطيه الخصوصية التي يواجه بها الآخر، كونها تتجذّر في اللاوعي مُشكّلةً بذلك الحجر الأساس في بنائه. (يقطين:، 1997، صفحة ص15)

يهدف الكاتب في نصّه إلى تأسيس أفكاره، برسم المحاور التي تسير وفقها مختلف القضايا المعالجة، وتبني مواقف معبّر عنها بأسلوبه الخاص، عن طريق العالم الذي يحيط به، إذ ليس الكاتب في معزل عن التفاعلات الاجتماعية المحيطة به، سواءً أكانت سياسية أم دينية، ثقافية أم فكرية. تُعدّ التفاعلات المحيطة به مادةً غنيّة للكتابة، فهي تشكل قضايا شائكة لا بدّ من معالجتها ونقدها لما فيها من آراء ورؤى مختلفة، يقول سعيد يقطين: "إننا كما نفكر في ذاتنا نفكر في تراثنا وتاريخنا الحضاري والثقافي، وكما نقرأ مستقبلنا، ونفهم ذاتنا نفهم الآخر من حولنا". (يقطين:، 1997، صفحة ص22)

عكست الكتابة كلّ التطوّرات التي مرّت بها المسيرة الأدبية على اختلاف البيئات التي نشأت فيها، وصوّرت كلّ الثوابت الاجتماعية والسياسية والثقافية، وكان للاستعمار أثر كبير في المجتمعات المستعمرة من خلال الممارسات الإقصائية التي كان يمارسها خاصة فيما تعلّق بالفكر واللغة والدين باعتبارها من أهمّ المقومات التي تتأسس عليها الهوية، وذلك بالقضاء على الثقافة والعادات والتقاليد أو تشويهها.

بعد نهاية الاستعمار واستقلال الدّول المستعمرة، وجد العقل العربي نفسه أمام استعمار فكري جديد، وأمام ظاهرة الانفتاح الحضاري والثقافي، باسم العولمة التي أسست

فكرها وفلسفتها على المركزية والريادة وقيادة العالم، الشيء الذي أحدث خللاً في شروط المثاقفة. إنه تعدّ ثقافي مضرّ بهوية الآخر الثقافية، حيث تصبح عملية التواصل المرتكزة أساساً على مبدأ التأثير والتأثير إلى غزو ثقافي عن طريق تغييب الآخر ونفي لحقه في الظهور وإلغاء لتعبيره عن ذاته، تشلّ قواه فيعجز عن إحيائها، لأن "مشكلة الهوية الثقافية ليست في اكتساح العولمة والأمركة، على ما نظنّ ونتوهم، بل في عجز أهلها عن إعادة ابتكارها وتشكيلها في سياق الأحداث والمجريات أو في ظلّ الفتوحات التقنية والتحوّلات التاريخية، أي عجزهم عن عولمة هويتهم وأعلمة اجتماعهم وحوسبة اقتصادهم وعقلنة سياستهم وكوننة فكرهم ومعارفهم، تلك هي المشكلة التي نهرب من مواجهتها: عجزنا حتّى الآن عن خلق الأفكار وفتح المجالات وتغيير الأدوار لمواجهة تحديات العولمة". (حرب، 2000، صفحة ص25)

أدت العولمة إلى شعور الإنسان العربيّ بالنقص نحو أصوله الثقافية، ممّهما إياها بالعجز والقصور في توفير السُّبل المثلى للرفق بثقافته ومواكبة تطوّرات العصر وحدثاته، مما جعله يتأثّر بالوافد الجديد، هيمنت عليه الحضارة الغربية، فتلاشت ثقافته وضعف تفكيره، فأصبح مغلوباً على أمره، والمغلوب دوماً مولع بتقليد الغالب، فصار يعيش في التيه والضياع وفقدان هويته الثقافية.

لعلّ رواية "حكاية العربي الأخير 2084" خير دليل على التيه والضياع، فصورة العربيّ النَّائِه الذي يبحث عن ذاته الضائعة وسط زكام الحداثّة، خطت عناوينها أقلام تعمّدت تركه على الهامش، فاستشرف "واسيني" حال العربيّ مستقبلاً، فرآه ضعيفاً خاضعاً لغيره، آيلاً إلى الزوال، وقد استعان بشخصيات تاريخية، وظفها بدلالاتها لتحريك وقائع وأحداث الرواية.

2- الصّوت المضاد في الخطاب الروائي المعاصر:

تُعَدّ الرواية المغاربية أهمّ نتاج أسهم في صناعة وجود العربي وإحياء كينونته بحكم التحوّلات الاجتماعية والتغيّرات السياسية المؤثرة في الدول المغاربية، فأعاد عقل الأديب المفكّر نظره في مختلف القضايا الاجتماعية المحيطة به، وجسدها في الأعمال الأدبية التي عكست صورة الواقع الاجتماعيّ الذي مازال متقيّداً بروابط اجتماعية ودينية تعكس ثقافة البيئة ودورها في الحفاظ على الهوية، وكان للكتابة الروائية حاجة اجتماعية بالدرجة الأولى،

سعت إلى "تأكيد الهوية وتحرير التاريخ والثقافة والبحث عن مرتكزات إيديولوجية وسياسية لمقاومة هيمنة الإمبريالية ووصائيتها المتعددة الأشكال". (عشر ، الكويت ، ، صفحة ص20)

أظهر عقل الأدباء خطاباً أدبياً سياسياً ، يدعو إلى التحرر من قيود الكولونيالية التي كرست مفهوم الأحادية الثقافية ، فتشكّل خطاب مضاد مؤسس لمنطلق فكري جديد عبر مجموعة من القرائن اللغوية والتاريخية ، ترتبط في جوهرها بالذات العربية التي رغبت في تقويض الفكر الكولونيالي باسترجاع المكانة المركزية في المجتمع العربي. (عشر ، الكويت ، ، صفحة ص25)

أسهمت الأعمال الأدبية في إعادة الاعتبار للهوية والثقافة العربية المهمشة لعدة عقود من الزمن ، بربط وعيها الأدبي بالتاريخ الإنساني والواقع الاجتماعي الذي تعيشه المجتمعات العربية. يوضح الباحثان المفكران "محمد عابد الجابري" و "حسن حنفي" "في حوار الشرق والغرب وهما يسترجعان حقائق تاريخية وقضايا الحوار في العالم العربي التي تؤسس لعلاقة الإنسان بحاضره وأسئلة الحرية والديمقراطية وتأثيرها في الوعي الإنساني وارتباطه بإيديولوجيات مؤسسة للفكر الإبداعي ، ينطلقان من المركز الإنسان". (وآخرون: ، 2010 ، صفحة 309)

يقول الجابري ، في هذا السياق ، "إنّ الإبداع الإنساني فكرٌ كان أو أدباً أو اختراعاً ينتمي لظروفه لا لجغرافيته ، وأنّ الفوارق القائمة الآن بين الشمال المتقدم والجنوب المتخلف ليست ناتجة عن التقسيم الجغرافي ، وإنّما نتجت عن ظروف موضوعية جعلت الشمال يسبق الجنوب". (وآخرون: ، 2010 ، صفحة 205)

لقد هيمنت على الفكر العربي الأحداث التي كانت تناقش الوضع الاجتماعي والسياسي منطلقة من الذات العربية التي فككتها المركزية الغربية بوسائل عدة ، سواءً أكانت مباشرة أم غير مباشرة ، إذ يمكن القول ، إنّ "الثقافة العربية أصبحت حقل صدامات لا نهائية بين المفاهيم والمقولات والرؤى والتصورات ، فالأفكار تمارس أفعالها المتمركزة ويؤدي إلى تشكيل كتلة متجانسة من التصورات التي تنتج الذات المفكرة ومعطياتها الثقافية". (إبراهيم ، 1997 ، صفحة ص10)

إن ما أنتجته الخطابات الروائية المغاربية المعاصرة ، نظراً للكمّ الهائل من التمازج الثقافي بين الحضارات المتنوعة والثقافات المختلفة ، "تشكّلت مقومات هجينة في منطلقاتها

المعرفية والفكرية وأنتجت رؤية متشعبة بالقيم الإيديولوجية في أنساقها المضمرة ، كما وجد القارئ نفسه أمام تحولات الهوامش إلى مراكز بفضل بروز كومة من المعارف ، فلم يعد يتمتع بذلك الأمان الذي وفّرتة الخطبة السردية ، فكان يترّ السرد على حكايات المهّمشين في محاولاتهم الانفلات من ربة المركز الذي يتحكّم في حيواتهم ومصائرهم. (المصباحي ، 2017 ، صفحة 8)

رغب الكاتب العربيّ المعاصر في إثبات هويته ومركزيته بفعل الكتابة ، والبحث عن التّابع القابع للفكر العربيّ ومحاولة إخراجه من دائرة الهامش ، بتسليط الضّوء على شتّى القضايا السياسيّة والاجتماعية وطرحها بأسلوب جماليّ تعبيري في استحضار البطل الثوريّ التّضاليّ الذي يصارع من أجل التحرّر والهيمنة وإبراز هويته الثقافيّة المهّمشة على حساب المركزيّة الإمبريالية الغربية ، فأصبح الخطاب الروائيّ المغاربيّ يُسهم في فضح المقولات المركزيّة الغربيّة وتعريتها ، والكشف عن كلّ الممارسات الإقصائيّة التي دفعته لخلق خطاب مضاد ، مخالف لكلّ الخطابات الزائفة التي تهدّد هويته وفقدان كينونته الوجوديّة.

3. مقاربة نقدية في رواية واسيني الأعرج "حكاية العربي الأخير 2084":

جسّد "واسيني الأعرج" في روايته مختلف الأحداث والوقائع التاريخية العالمية والعربية والإسلامية مع تكثيفه للدلالة الرمزية في عملية السرد ، فاستهلّ في بداية روايته العبارة نفسها المكتوبة في مدخل قلعة "أميروبا" التي يوحى مضمونها إلى قتل الإنسان العربيّ وطمس هويته وتقويض كلّ خطاباته المضادّة النّابضة بالحرية ، "العربيّ الجيد الوحيد هو العربيّ الميت". (الأعرج ، 2016 ، صفحة 51)

استهلّ "واسيني" روايته للإحالة إلى فكرة تبناها الآخر ، يحكم بها على الأنا العربيّة التي أضحت تعيش في الهامش ، إنها مخلوق منبوذ ، غير مرحب به ، وغير مرغوب فيه ، وأكثر ما يورق الآخر ، تلك الشخصية العربيّة المفكّرة ، الواعية ، العارفة ذاتها ، المتشبّثة بثقافتها ، فالعربيّ الجيد في نظر الآخر هو ذلك العربيّ الذي يلغي نفسه ، يغيب ذاته ، لا يفكر في هويته الثقافيّة والوجودية ، يقبل الواقع المفروض عليه ، يخضع لما سطره الآخر.

يقول السّارد عن نقاش دار بين "لنيل بروز" وبين بطل الرواية "أدم" المثقف العربيّ والعالم النووي المرشّح لجائزة نوبل: "لنيل بروز لم يُخف دهشته وهو يحادثه: عربيّ ويفكر؟" (الأعرج ، 2016 ، صفحة 15) هذا العالم العربيّ الذي اختطف من مطار "شارل دوغول" في

باريس ، ليقاد إلى قلعة (أميروبيا) ويبقى هناك بعيداً عن أهله ، فيبدأ رحلته باحثاً عن ذاته ، مُكرساً كلّ جهوده العلميّة لإنقاذ العالم من الدمار الذي يهدده ، خاصّة العالم العربيّ الآيل إلى الزوال.

صوّر "واسيني" في روايته أزمة الهوية العربية وتمزّق الذات وانشطارها جراء ما خلفته السياسة الاستعمارية ، وما فعلته ممارسات الأنظمة العربية في حقّ شعوبها ، وما آلت إليه معظم الدّول العربية من فرط الصّراعات الدّاخلية والانقسامات الطائفية أو المذهبية ، فأصبحوا "يسحبون السيّوف والسكاكين بعضهم على بعض ويحرقون الدبابات المتبقية من الزّمن الماضي من حروبهم ويمحون آثارهم ، منتصرين كانوا أو منهزمين. آدم مسكين لا يعرف أنّ عصرًا انتهى وحل زمن آخر". (الأعرج ، 2016 ، صفحة 15)

تكشف هذه التحوّلات في العالم العربي عن الهوية العربية التي تتخبّط في صراع تاريخيّ حضاريّ جراء ما خلفته السياسة الإمبريالية ، والقمع الهمجى الصادر عن الأنظمة القائمة المسلطة على رقاب الشعوب المغلوبة على أمرها ،

فلا حول لها ولا قوة ، والكاتب يجسّد هذه الجمالية في الانتقال من العالم العربيّ إلى العالم الغربيّ مبرزاً التناقضات التي تظهر تمفصلات الوعي والإيديولوجيا عند البطل آدم.

صوّرت الرّواية حالة البلاد العربية "آرابيا" وما آلت إليه من خراب ودمار ، بسبب الصّراعات الدّاخلية والافتتال الطائفي ، فغدوا جباعا ، يتقاتلون من أجل لقمة العيش ، بعد نفاذ كلّ الخيرات في أراضيتهم. وُصّفوا على أنّهم بقايا بشر ، بدون تاريخ ولا هوية. يقول في مقطع من مقاطع الرّواية: "اليوم في آرابيا ، يتقاتلون على الماء والكلاً وبقايا النخيل المحروق". (الأعرج ، 2016 ، صفحة 16)

قدمت الرّواية العربيّ: ذلك النّائه في صحراء الرّبع الخالي ، والذئب في غربته ، ومنّ قتلته الحروب ، ومن فقد هويته وتاريخه ، هذا حال العرب في الراهن ، وواقعهم اليومي ، إنه حال ما يحدث اليوم في سوريا وليبيا واليمن ، وما حدث في العراق والجزائر ، وما يحدث اليوم في فلسطين والسودان ، دمار واستدمار خراب وحرمان ، الإرهاب في كل مكان بتعدّد فرقته ومصادر تمويله ، إنه ليس قدرا مقدورا ، وقد صوّرت الرّواية على أنه من قلة الوعي ، ومن تشجيع الدّول الغربيّة ، والأيدي القذرة التي تحمل العداء للسلام العالمي ، والحق والكراهية للعالم العربيّ.

صَوَّرَ التمزّق الاجتماعيّ والتّحيز الطائفي والحكم الديكتاتوري الطاغبي على شعوب العالم العربيّ، وعجز السلطات على حلّ مشكلات شعوبها، فـ"الفرق بن آرابيا والعالم الآخر هي أنّ الثاني على الرّغم من العنف، هناك إصغاء لحلّ المعضلات، كما في بلجيكا وسويسرا وإيطاليا وكندا والهند وفرنسا وأمريكا والصين وروسيا وغيرها، لكن آرابيا لم تمنح فرصة تأمل وضعها بسبب جنون حكامها وأطماعهم وإخفاقهم. كلّما زادت الحروب كثافةً والفقر توغلاً، أصبح التفكك سريعاً وكبيراً من الصّعب التّحكّم فيه". (الأعرج، 2016، صفحة 148)

كانت الأحداث في العالم العربيّ والوقائع التي ماتزال تسكنه إلى اليوم، بمثابة المادّة للكاتب والزاد للروائيّ، سمح له بإنتاج نصٍّ روائيٍّ رائع، اشتغل فيه على التّاريخ بمنظار التخيل، صيغت في قالب فني إبداعي، وقف فيه القارئ العربي على حقيقة هويته المهمشة، ووضعية وطنه الممزّق جراء الأزمات المتعددة والصّراعات الأيديولوجية، فكان لا بد من التفكير وإعادة النظر في العديد من القضايا التي تحتاج إلى الحل إثباتاً للذات، وتجلية للهوية، بهدف الخروج من دائرة التهميش.

الملاحظ في الرواية إيغال الكاتب في التّاريخ، يقدّمه مكوّنًا أساسيًا في بناء شخصيّة الإنسان وهويته، فاستحضار التاريخ بما فيه من أمجاد وبطولات، يذكر العرب بالحضارة والهوية والثقافة، حالاتها السابقة، ومآلاتها الآتية.

إن الصّراعات الدّاخلية والهيمنة الإمبريالية، والتبعية للغرب، أدّى إلى ضعف الشخصية وطمس الهوية، فالموّكد "أنّ الغالب (الآخر) لا يكتفي بمصادرة تاريخ المغلوب (الأنّا) والتكلّم باسمه، بل يذهب إلى ما وراء التّاريخ، في حين لا يجد المغلوب طريقة يذود بها عن نفسه سوى اللّجوء إلى وهم الماضي وأمّجاده". (الأعرج، 2016، صفحة 175) أي أنّ الآخر يقوم بطمس تاريخ الأنّا وبالتالي يجد نفسه في عزلة عن العالم وعن الحاضر، ولهذا يهرب إلى صفحات التّاريخ علّه يجد عزاءً لواقع أصبح يرفض وجوده كأنسان تحقّق له الحياة، "وحده الذّئب يبحث عن حريته، يتأقلم مع كلّ الصّعوبات. في شيء يشبه الذّئب. يمكنني أن أكتفي باللامكان. أسكن تحت شجرة أو في عمقها إذا كانت مجوفة...". (حمود، 2013، صفحة 23) وظلّ الذّئب بجانب آدم في جميع فصول الرواية، باحثاً عن ماضيه المجيد وعن هويته المفقودة ومقاومة الطّروف الصّعبة من أجل البقاء واسترجاع مجده.

إنّ الذّئب "رماد" كما سمّاه الكاتب رمز للمقاومة والوحدة وعدم الاستقرار، والقوّة والتوحّش، ورمز للتّرحال دون استقرار، فكان دائماً غريباً في البلاد التي حلّ بها، وقد قام

الكاتب بنوع من التمثيل بين الحضارة العربية والغربية ، "فآدم" ينتمي إلى العالم العربي بعقله وثقافته وطريقة تفكيره ، مما جعله غريباً في العالم الغربي ، لأنه وجد نفسه أمام عالم جديد ، أفقده هويته ، وأضحى مطموس المعالم .

رواية " حكاية العربي الأخير 2084 " قالبٌ مشحونٌ بكثير من الرمزية ، طرحت فيها مسألة الهوية المفقودة للبطل آدم الذي بدأ رحلته البحثية عن هويته المغيبة. لقد اجتمعت فيها هموم الكاتب أدبياً ، مثقفاً ، ناقداً ، يحسّ بمسؤولية ثقيلة ، يشوبها الكثير من الخوف الشديد ، ومن الحزن العميق ، والأسى الدفين ، يتجلى للقارئ في كلّ فصول الرواية ، مما جعله يتفاعل مع النصّ مستقبلاً رسالة تمثلها الكاتب ، وأخذها على عاتقه ، محاولاً تفجير الوعي وتدارك القارب قبل غرقه ، وهي الأمنية التي تمناها منذ بداية نصّه.

1.3. الصراع الايديولوجي بين الأنا والآخر في الرواية:

أسهمت العديد من العوامل التاريخية في احتدام الصراع القائم بين الأنا والآخر ، ساعد على ذلك تضارب مصالحهما واختلاف انتمائهما الثقافي والاجتماعي ، فقد أكد الباحث الأردني "سلام الربضي" أنّ "المعضلة الأكبر في مجتمعاتنا هي جدلية وجودية ، قائمة على مسألة كيفية إقامة النظام الاجتماعي العام ، ما دامت معظم الدول العربية قد فشلت في خلق ثورة تكاملية ، تكمن في ضمّ سكّانها تحت مبادئ عامة ، تؤكّد مصلحة الوطن والمواطن والعروبة فوق المصالح الطائفية والإقليمية المبتذلة. بل إنّها نتيجة لسياساتها ، أضفت انقساماً جديداً إلى بنية المجتمع العربي وهو الانقسام الطبقي ، من خلال استراتيجيات اجتماعية واقتصادية تخدم فئات بعينها. حيث أخفقت في توطيد مبادئ المساواة والعدالة والحرية الفردية". . (الأعرج ، 2016 ، صفحة 149)

إنما زاد في احتدام الصراع بين الشعوب العربية ، وأزاح جميع القيم الإنسانية المشتركة أمام الطائفية وتعدّد المذاهب التي لا معنى لها ، هو إحداث الانقسامات والمشاكل وزرع الفتن ، وإشعال الحروب ، وتقشّي ظاهرة الإرهاب الذي سلب الأمن والأمان من قلوب الناس .

معظم هذه الصراعات من مخلفات الكولونيالية الغربية التي ساهمت في الفوضى الوجودية وتفكّك الذات الجماعية وتشظي الكينونة العربية ، "إذا كانت الكولونيالية تستعرض قواها العسكرية والحضارية لاستغلال الهوية الوطنية المستعمرة ، فإنّ لها بعد

الكولونيالية وظفت طاقاتها الثقافية والحضارية لممارسة التفكك والهدم وتقويض الثقافة المحلية بكل ما تملكه من آليات مادية ومعنوية وثقافية وسياسية". (الربضي ، 2014)

* الكولونيالية: الاستغلال / التسلط / التبعية / استهداف الإنسان.

* لما بعد الكولونيالية: التفكك / الهدم / صراع الإنسان مع أخيه / استهداف عقل الإنسان.

لقد حملت رواية " حكاية العربي الأخير 2084 " أبعاداً رمزية ، سياسية وثقافية ، اتخذها الكاتب عتبةً للانفتاح على رواية "جورج أوريل" ، بحيث ساهمت في كشف الإمبريالية الغربية ونظامها الجديد الذي يتخذ من وسائل الهيمنة سلاحاً لصوت التابع الاستعماري ، فقامت الرواية بإعلان مركزية الهامش من الموقع الذي لعبه بطل الرواية "آدم" في قلعة "أميرويا".

شكلت تلك الصراعات والحروب التي صوّرها الكاتب في نصّه ، بؤرة التوتر والصراع والهاجس النفسي في مواجهة الآخر الغربيّ ، فبعدما قيدته الحرب ، توالى الخسائر ، وانتهت الحرب البشرية ، فأتت كما يقول الكاتب "نهاية زمن وبداية زمن آخر ، إنسان الشريحة". (فيدوح ، 2019 ، صفحة 154) أي حرب جديدة متعلّقة بالوجود ، وهي الحرب البيولوجية التي أصبح فيها العربيّ فأر تجارب لحقول بيولوجية غريبة حيث "كان الكثير من المرضى يُعثون إلى أمريكا ، وهناك يتحولون إلى مادة للبحث المخبري ولا يبرر لاحقا اختفاءهم". (الأعرج ، 2016 ، صفحة 279)

قدم الكاتب صورة العربي الذي "يعيش في عصر لا ينتهي إليه ، لا من حيث التظاهرات الخارجية التي يكتفي باستهلاكها ، بل من حيث أنّه كائن لا تاريخي رغم ادّعائه الانتماءات التاريخية ، لأنّه لا يتوأكّب ثقافياً وأنطولوجياً ومعرفياً وحضارياً مع تطوّرات المراحل التاريخية". (الأكاديميين ، 2018 ، صفحة 74) هذه الرؤية التي صوّرها الكاتب في عمق روايته ، توضّح للقارئ أنّ العربيّ ما يزال حبيس تراثه لا يمكنه أن يواكب العصر والتكنولوجيا الجديدة التي ينتجها الغرب ، ينظر للغربي بنظرة دونية ، واحتقار للذات التي وضعته في الهامش مقارنة بالآخر الذي يحتلّ المركز ، فهو إنسان يعيش في صراع بين التاريخ والحاضر ، وهذه مشكلة العربي "أينما وضعته سيمكث في ظلّه الأوّل". (الأعرج ، 2016 ، صفحة 23) رغم التطوّر العلمي والتكنولوجي الذي يعيشه العالم إلّا أنّه ما يزال قابعا في بؤرة

واحدة ، مما جعل الآخر ينظر إليه نظرة فيها نقص ، تجرّده من حقّه في الحياة ، وهذا ما أدّى إلى صراع دائم بين الأنا والآخر أي بين الغربيّ المركزيّ والعربي الهامشي.

ينظر الآخر إلى العربيّ كما صوّرته الرواية نظرة احتقار ، وعلى أنّه تابع لا يصلح إلّا أن يكون كذلك ، وشخصيّة بطل الرواية "آدم" تختزل تاريخاً وفلسفةً وإيديولوجية واضحة ومألوفة للنّاس ، لكنّها تحمل وراءها غموضاً وعلامة استفهام كبيرة.

هذا "آدم" العربي الذي يبحث عن هويته وذاته في ظلّ وجود الآخر الذي يملك حقّ تجلّيها وتعبيرها ووجودها. يمكن أن نقول ألا يمكن لهذا العربي أن يعيش في سلامٍ كغيره من البشر؟ أليس لديه حقّ امتلاك الحرية ومعرفة ذاته بذاته لا بواسطة الغير؟ أليس له الحقّ في نهاية جميلة كباقى البشر؟ كلّ هذه التّساؤلات طرحتها الرواية في ظلّ الأوضاع التي يعيشها الوطن العربي راها ، فهل هناك مخرج للأمة العربيّة للتهوؤ بنفسها وتجاوز كلّ أزماتها ومشاكلها الثقافيّة والفكريّة التي شهدتها مرحلة ما بعد الكولونيالية.

إنّ "الرواية ليست تجسيداً للواقع فحسب ، ولكنها فوق ذلك موقف من هذا الواقع. هذا الموقف لا يمكن أن يتّخذ إلّا بإعادة إنتاج هذا الصّراع الواقعي والإيديولوجي في النصّ". (الحميداني ، 1990 ، صفحة 51) من أجل اتّخاذ مواقف حاسمة لإعادة الاعتبار لكلّ الفئات المهمّشة ثقافيّاً وفكريّاً ، وحكاية العربيّ الأخير كما قال عنها "واسيني": هي في النّهاية مجرد محاولة انتساب إلى الحرية والحب والنور ، واختبار مدى استحقاقنا لحياة ليست دائماً سهلة أو متاحة. امتحانٌ قاسٍ ، لكنّه شديد البهاء ، يستحقّ أن نعيشه ونصاب بدواره". (فؤاد ، 2015) أي أنّ الرواية وسيلة للمقاومة من أجل الحرية والحبّ ووسيلة خطابيّة مضادّة لكلّ الخطابات المركزيّة الغربيّة التي شكّلها ورسمها الآخر عنّا.

2.3. صراع الهوامش في الرواية:

طرح الروائيّ أزمة الهوية التي سبّبتها الكولونيالية الجديدة التي تستعين بآليات وتدابير أكثر ذكاءً ، ويظهر هذا في خطاب "ليتيل بروز" بمناسبة الذكرى المئوية لجده "بيغ بروز" "هناك أمم لا تصبح مفيدة إلّا عندما تتحوّل إلى رماد ، نحن من يمنحها فرصة الخروج من رمادها". (أوريل ، 2014 ، صفحة 30) توحى هذه المقولة في الرواية إلى الجدّ الأكبر الذي يمثّل الكولونيالية الإمبريالية الساعية إلى تحطيم روابط العالم العربي والهيمنة عليه ، فجعل الصّراعات تستمرّ لأجيال كما هو حال "صراع آرابيا (arabia) وآزاريا (asaria) صراع المئة

سنة... هل وصلت آرابيا إلي كل هذا الوضع البائس والمختلف والقاهر في الأعماق؟ جزء منها تحالف مع أرابيا التي احتلت كل آباره النفطية وتعاونت معها، متكئة على حمايتها. جزء آخر يجد في العودة إلى النظام القبلي نعمة وهي عودة إلى الأصول. لكن الكثير منها يتوسع فيزيد فقرا. ينظم غزوات ضد بعضه البعض، كانوا ضد أنفسهم وما يزالون. سينقرضون وهم على هذه الحال." (الأعرج، 2016، صفحة 123) هدفها خلق صراعات دائمة داخل المجتمع العربي والعمل على تفكيكه إلى مناطق متصارعة وأقليات متناحرة كما يحدث في "هيكل آرابيا وأصبحت عبارة عن آرايات: شيعية/سنة، دروز/آرمن، أكراد/أمازيغ، مسلمون / مسيحيون، لم يعترف لهم بأي حق". (الأعرج، 2016، صفحة 140) وكلها أقليات متصارعة ومهمشة في العالم العربي تسببت في تمزيق الهوية الوطنية، وفي المقابل نجد الغرب ينادي باسم التعددية الثقافية "فهي أساسه، معنا آرابيون كثيرون في مخابرنا هم منضبطون، كما الهنود والآسيويون واللاتينيون والإيرلنديون وغيرهم، هذه التعددية تصنع أمريكا". (الأعرج، 2016، صفحة 139) من هنا نفهم أن مشروع التعددية الثقافية التي يتبناها الغرب هدفه احتواء كل الطوائف والأقليات المهمشة في وطنها، وضئها إليه في إطار نظام إمبريالي، يحكم الأقليات، فمثلما تصنع الطائفية في العالم العربي، تصنع أمريكا التعددية الثقافية، وأمريكا هي "التاريخ المشترك" (الأعرج، 2016، صفحة 140) وفي هذا السياق يتحدث "مالك بن نبي" عن فكرة قابلية الاستعمار، موضحاً "أن المشروع الحضاري انقلب إلى بوليتيك، تضم الزعامات ولا تهتم ولا تكثرث ببناء الحضارة انطلاقاً من الإنسان ثم الدولة ثم الأمة، لقد أنجز ذهنية متعقنة ساهمت بكثير في فتح أبواب القلعة أمام المستعمر ليعيش فيها". (بوعزيز، 2018، صفحة 95) وهذا ما دفع بالإمبريالية الغربية إلى تفكيك ومحو ذاكرته التاريخية، وتشجيع الصراعات الطائفية بين الشعوب. "أصبحنا داخل عالم يموت ... وأصبحت آرايات متقاتلة، عندما يغيب العقل يحلّ محلّه الجنون ثم العدمية". (بوعزيز، 2018، صفحة 141)

صوّر الكاتب جميع الهوامش المتصارعة داخل العالم العربي، أدت به إلى تفكك هويته وثقافته وتاريخه: صراع السنة والشيعية، صراع الدروز والآرمن، صراع العرب والأمازيغ والأكراد.

تعدّ هذه الطوائف والأقليات هوامش متصارعة في وطنها، صوّرها الكاتب أحسن تصوير، يقوم الغرب بخلق بؤر التوتر وتشجيع الطائفية والأقلية باسم التعددية الثقافية.

4-خاتمة:

تعتمد الكولونيلية الجديدة على مفاهيم ومرتكزات ومقولات أساسية لبناء نظام عالمي جديد يقوم على فصل الإنسان العربي عن تاريخه وتزوير هويته ، وتقنيك كل مقوماته والإعلان عن موت جميع قضاياه الجوهرية تحت شعار الإنسانية والتعددية الثقافية ، ووضعه في الهامش ، بخلق الأزمات الاقتصادية ، والصراعات الطائفية والحزبية وتقسيم العالم العربي إلى أقاليم تحكمها المركزية الإمبريالية.

صوّرت رواية "حكاية العربي الأخير 2084" حالة العرب التي صارت عرضة للضياع جراء هذه الصراعات الطائفية والحزبية من جهة ، وصراعه مع الآخر الغربي من جهة أخرى. ففي الرواية يظهر الصراع جلياً بين الأنا والآخر في مجموعة من القيم التي يحقّ للإنسان أن يتبناها كحقه في التفكير ، وحقّه في امتلاك هوية ثقافية خاصة به.

نحج "واسيني" في روايته برصد جميع التحوّلات في العالم العربي ، بطرحه قضية الهوية الثقافية والوجودية للإنسان العربي وصراعه الدائم مع الإمبريالية الغربية المتغطّسة ، التي تحاول تغييرها بشتّى الأساليب ، منها إثارة التّعرات بين أبناء الوطن الواحد. طرح "واسيني" في نصّه الكثير من الأسئلة الوجودية التي مزجت بين الواقع التاريخي والتخييل الروائي ، مع طرح تصوّر للمستقبل الذي يراه غامضاً.

5. قائمة المراجع:

- جورج أوريل. (2014). لبنان: دار التنوير.
- حميد الحميداني. (1990). : النقد الروائي والأيدولوجيا ، من سوسولوجيا الرواية إلى سوسولوجيا النص الروائي. المركز الثقافي العربي
- سعيد يقطين: (1997). الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي ، المغرب المركز الثقافي العربي.
- شيماء فؤاد. (2015). حوار مع واسيني الأعرج. شبكة المحيط الإعلامية.
- صلاح الربضي. (2014). الثورات العربية والتساؤلات الأخلاقية حول الأنا والآخر ، . بيروت: مركز بيروت لدراسات الشرق الأوسط ..
- عبد الرزاق المصباحي. (2017). الأنساق السردية المخاتلة. بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة.
- عبد القادر فيدوح. (2019). النسق الثقافي للكولونيلية الجديدة في (حكاية العربي الأخير) ، . الجزائر: المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية.
- عبد الله إبراهيم. (1997). المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- علي حرب. (2000). حديث النهايات —فتوحات العولمة ومازق الهوية. المغرب: المركز الثقافي العربي.

ماجدة حمود. (2013). إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية). الكويت: مجلة عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرن الثقافي الحادي عشر. (الكويت ،). الرواية العربية (ممكّنات السرد) 2008. مجموعة من الأكاديميين. (2018). العين الثالثة (تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي) ، الجزائر: دار ميم للنشر. محمد عابد الجابري وآخرون ، (2010) ، حوار المشرق والمغرب نصوص إضافية ، لبنان ، الدار العربية للعلوم. واسيني الأعرج. (2016). حكاية العربي الأخير 2084. بيروت: دار الآداب. وحيد بن بوعزيز. (2018). جدل الثقافة مقالات في الآخرة والكولونيالية والديكولونيالية. الجزائر: دار ميم للنشر.

6-الهوامش والإحالات:

1. سعيد يقطين: (1997). الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي ، المغرب المركز الثقافي العربي.
2. المرجع نفسه ،
3. علي حرب. (2000). حديث النهايات –فتوحات العولمة ومآق الهوية. المغرب: المركز الثقافي العربي.
4. أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرن الثقافي الحادي عشر. (الكويت ،). الرواية العربية (ممكّنات السرد). 2008 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
5. المرجع نفسه.
6. محمد عابد الجابري وآخرون ، (2010) ، حوار المشرق والمغرب نصوص إضافية ، لبنان ، الدار العربية للعلوم.
7. المرجع نفسه
8. عبد الله إبراهيم. (1997). المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
9. عبد الرزاق المصباحي. (2017). الأنساق السردية المخاتلة. بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة.
10. واسيني الأعرج. (2016). حكاية العربي الأخير 2084. بيروت: ، دار الآداب.
11. المرجع نفسه ، ص15،
12. واسيني الأعرج. (2016) ، ص16
13. المرجع نفسه ، ص148.
14. واسيني الأعرج. (2016) ، ص175.
15. ماجدة حمود. (2013). إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية). الكويت: مجلة عالم المعرفة ، .
16. واسيني الأعرج. (2016) ، ص279
17. صلاح الرضي. (2014). الثورات العربية والتساؤلات الأخلاقية حول الأنا والآخر ، . بيروت: مركز بيروت لدراسات الشرق الأوسط ، .
18. عبد القادر فيدوح. (2019). النسق الثقافي للكولونيالية الجديدة في (حكاية العربي الأخير) ، . الجزائر: المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية.
19. واسيني الأعرج. (2016) ، ص279.
20. مجموعة من الأكاديميين. (2018). العين الثالثة (تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي) ،. الجزائر: دار ميم للنشر.

21. واسيني الأعرج (2016)، ص23.
22. حميد لحميداني. (1990). : النقد الروائي والأيدولوجيا، من سوسولوجيا الرواية إلى سوسولوجيا النص الروائي. المركز الثقافي العربي
23. شيما فؤاد. (2015). حوار مع واسيني الأعرج. شبكة المحيط الإعلامية.
24. جورج أوريل. (2014). لبنان: دار التنوير.
25. واسيني الأعرج (2016)
26. واسيني الأعرج (2016)
27. المراجع نفسه
28. المراجع نفسه
29. وحيد بن بوعزيز. (2018). جدل الثقافة مقالات في الآخريّة والكولونيالية والديكولونيالية.،. الجزائر: دار ميم للنشر.
30. المراجع نفسه